



التاج

أسامة أحمد البدر - الكويت



الجسد الذي غدا الآن مباحا... رأوا أنها لن تجديه.. أبقوا على قميص أبيض طويل!.. وبقيت له محتويات الغرفة الفاخرة كلها، الملاءات البيضاء، والستائر التي ما أشرف على اختيار لونها هذه المرة، والمكيف الذي يهمس بالبرودة أملا أن يخفف عنه .

(أنا السبب!).. حسبت أن العبارة رشحت من حوار يدور في الخارج، فالتفت أستوضح لعلمهم -هناك- يشرحون كيف وصل به الحال إلى مثل هذا المكان!.. لكن التواء العبارة أعادني إليه لكي أقترب منه أكثر، رغبة في أن أوفر عليه كل ما يمكن من مشقة!..

(لو استخدمت القبة الواقية لبقيت إلى الآن هناك، في (الورشة...).. من

جواره وهو منطرح على الفراش الأبيض منذ شهرين، ينتظر اليد الحانية التي تطعم وتسقي .

(سحابة صيف إن شاء الله...) كان يسمعي.. لم تتعطل الأذنان.. وبقي له فم يستطيع أن يقول، بيد أنني ما اشتفيت أن يتكلف مشقة.. وأشفقت أن أسمع منه عباراته الملتوية.. فحتى لو قال فلن تفيدني الكلمات بأبلغ مما أرى، ولن تفعل أكثر مما يمكن أن تكون عليه بعض النهايات!..

حرك أصابعه أخيرا كأنما ليرحب بي.. استطاع أن يفعل وإن بدا هذا شاقا عليه.. خلا البنصر من خاتمه الثمين، وكذلك الساعة غادرت المعصم الأنيق.. جردوه - على ما يبدو - من كل ما يعيق عملهم في

لم أكد أعرفه!.. وجهه الذي تلقاني به آخر مرة بدا وكأنما استبدل به وجه آخر ضامرا حتى ما عاد يتسع للعينين الزرقاوين اللامعتين على الدوام ببريق الظفر.. بينما ارتقى الجسد الذي عهدته ممثلا في عجز وذبول، لا يملك أن يتقلب، وتدلى الساعدان إلى جواره في استكانة وإهمال شأن من أدرك أخيرا أنه لم تبق له مهمة يشمر لها!..

(أبو محمود!).. جاهد صوتي كي يتحرر من الانفعال، لكن نفسي أودى المشهد - أو كاد - بتماسكها.. أمسكت بالأصابع الثلجية التي نبتت في كف حاول صاحبها أن يضافعني دون جدوى.. واتخذت مجلسي إلى

أجل هذا يتحسبون من كل خطوة.. العمل في (الورشة) تكتنفه خطورة لا يتصورها غير المجربين.. (لك عينان فاستخدمهما على اتساعهما.. عين على الأعلى كي تتفادى ما يقع عليك منه، والأخرى إلى الأسفل كي لا يخترق قدمك شيء حاد يؤذيها!).. يوصي الكبار ذوو الخبرة على الدوام.. لأن الخسائر - في العادة - تأتي فادحة.. فوق أن المستويات الصعبة المطلوب تنفيذها تفتح الباب واسعا على احتمالات انزلاق كاسر.. لكنه لو لبس القبة الواقية - كما يتحسر الآن- لخلعها لحظة الحادث أو لطاحت رغما عنه كي تفسح للقدر أن يفعل ما شاء له الذي قدر!..

(قدر محتوم يا صاحبي وكل الناس يمرضون، لاتقلق فאלله سبحانه يتكفل بالشفاء!).. رنا بعينه إلى جسده المتهالك يريد أن يخبرني بشيء، وشد عليه قبضتيه بما تبقى له من عزيمة ليستنهض فيه-ربما- بقايا همة، فعادت يدها وعيناها بالخيبة والشكوى.. (ما أصعب رقدة الرجال!).. (هون عليك.. سيعود كل شيء كما كان!).. لكنه عاد فسأل نفسه (هل مكاني أنا هنا؟)..

(لاتتساءل!.. ما أصابك لم يكن ليخطئك يا صاحبي!).. هز رأسه موافقا، وسلم للممرضة ساعده تزرع فيه الدواء في رقعة وابسامة تشيان بكفاءة توازي أتعابها الباهظة.. إلا أن هذا لم يفده كثيرا أول ما وصل!.. حين رفع الطبيب قناعه الواقى عن وجه غارق في العرق، أمكنهم أن

يسمعوا تصرجه، وإن لم يرتاحوا له: (إصابات الرأس قليلا ما تنفع معها الحيلة!).. فدارت العيون اللاهفة لزوجة وثلاث بنات وتساءلت في لوعة (ماذا يعني هذا بحق الله؟).. (أسف جدا لما أقول.. الأعصاب المسحوقة لا تستبدل ولا يعالجها عقار!).. (ألا يمكن فعل شيء؟).. سألتها اللهفة الحارقة ذاتها، أجاب: (إلا الصبر.. الزمن جزء من العلاج!).. (تنقله إلى مكان آخر!.. إلى أقصى الدنيا لو احتاج!).. صرخت الزوجة وعيناها تقطران لوعة على حلم ترفض أن يتهدم.. (لا جدوى من كل ما تفكرون فيه.. لو كان وزنه أخف لمساعد المدلكين أكثر!)..

أعرفه.. سيعاند هذا الواقع الجديد طويلا، سيرفض أن يتصور نفسه والآلة الصماء ترشده كيف يخطو وأين!.. كان على الدوام هو الذي يرشد الآخرين ويساعدهم ويدربهم!.. يريد الآن - بخبطة واحدة - لو ينهي وضعا لم يكن ليشتيه ولا يتوقعه، فوق أنه يقيد ويتحده.. (يستحيل أن أمكث هنا طويلا، أعمال كثيرة وناس أكثر سيعطلهم هذا!).. عاد ليشكو.. (لا داعي للعجلة!).. قلت له.. (امنح الجسد المتضعع ساعة يرتح خلالها ويستجيب للتمارين!).. (لولا العجلة لما حدث كل هذا!).. ربت على كفه التي ما أزال ممسكا بها وعدت لأقول: (لن يطير الرزق.. ما لاتدرك من نصيبك اليوم سينتظر إلى الغد ما دمت تسعى!)..

نظر نحوي ثم غض طرفه (لم أفكر في هذا من قبل!).. أعرفه!.. له على الدوام طبع مندفع وحاد.. لا يملك - أمام مهمة تعرض له- أن يتروى أو يرتاح قبل إنجازها ليلتفت إلى سواها.. حقق بهذا سبقا مشهودا، وسعة في الرزق ربما، وأيضا، انشغالا عما لا يقل ضرورة عن طلب الرزق.. ليس (أبو محمود) من يدعو إلى الأناة أو يلتزم بها!..

(تأخرت؟!).. نظرت إليه متسائلا لأفهم من الذي تأخر!.. فأجاب: (تأخرت حتى فهمت هذا.. وربما بعد فوات الأوان!).. هذا ما يخشاه، ملأ عينيه هذه المرة وميض خوف لم يسبق لي أن لمحته فيهما من قبل.. لو تأخر بحق فهي نهاية الدنيا بالنسبة له.. لن يتبقى له دور يقوم به أو مهمة يؤديها أو يعرف من خلالها.. هكذا يحسب.. سيظل كالطفل الوليد كما قال.. وستبقى أخص حاجاته بيد غيره.. (ومن يدري ربما - بعدما يملون - تؤول إلى يد غريبة!).. اشتكى.. كم سيكون هذا مؤلما، وكم سيكون الجزاء قاسيا.. نهاية لم يتوقعها له أحد رغم كل ما أسرف.. لا، ولا أحد تمنأها له مهما ذاق من عنته!..

(ليست نهاية الدنيا!).. نظر إلي لا يريد أن يصدقني.. قادني ناظراه إلى الساقين المتواريتين تحت الغطاء المخملي الثقيل، كي أصدق، فلم أفعل!.. (ليست نهاية الدنيا!.. الحياة بأكملها شاء بارتها أن يبقيها لك.. وقبلها بقي خالقها الذي من أسمائه



الباقى، ومن أسمائه أيضا المعين)..
(شكرا لك!..) .. تابعت كأنما خاطب
غيري (اجعلها هدنة.. هدنة بينك
وبين العمل المتعب والمتواصل.. فرصة
لالتقاط الأنفاس أو.. للتأمل!).. هز
رأسه في إحباط شديد وكرر (هذا
ما لا أتقنه!.. فكري لا ينطلق مع
السكون، لا تحرك إن لم أقع على
المحرض الذي يتحداني فألتقف
تحديه وأقنع!)..

(إنك لا تدري..).. لم أجب..
انتظرت ريثما يجد القدرة على أن
يكمل.. (السوق الذي تتحدث عنه لا
يرحم.. يجرك إليه إن لم يكن بالقوة
فبالإغراء!.. عندما تنادي المغريات
الممدودة بسخاء لن يمكنك أن تتوقف
لتتساءل!.. لو تساءلت تجاوزتك إلى
غيرك.. لو استأذنت صحتك بقيت
في سكون!.. الدنيا نفسها لا ترحم..
عندي ثلاث بنات!.. لو تماهلت، ماذا
سيكون المصير!؟).. بسم الله الرحمن
الرحيم الرحيم قل هو الله أحد
بسم الله الرحمن الرحيم

ماهو المصير الآل-الرن!؟ لن
يروقهن المشهد بالتأكد، ولا الزيارات
التي يأتينها عنوة بتركرر ممل وقاتل..
لن يشتهين أن يأخذن بيده إلى أبسط
ضروراته.. لن يمكنهن أن يتضحكن
كالعادة، أو يرفعن أصواتهن حين
يتنادين أو يختلفن.. ولفترة قد تطول
ربما.. (أسفة.. كنت أتمنى.. لكنني لا
أستطيع.. اليوم دوري في المناوبة!)..
ستقول البنت لصديقتها معتذرة عن
موعد خططن له منذ أيام!.. لن تجد
الزوجة ما تلبسه للمناسبة فهي لم

تخطط لمثلها من قبل!.. ستحتار ماذا
تطهو، لن تشتهي الزوج هناك..
عاجز أن يشتهي!.. كثير من البرامج
والمواعيد ستلغى.. ستستف نسفا!..
(تأخرت!).. وما تأخرت، لكنه أعار
أذنيه من قبل غيري ممن لن يدعوه لما
أقول.. ومع هذا فما أنذا اليوم أتيت،
وها أنذا أقول له: (اسمع.. لا علم
لي بالغيب، إنما أقول: إنها مناسبة
لك لم تبتدعها ولم تسع إليها!)..
(وهل وراء هذه الحال مناسبة!؟)..
قاطعني.. (وفرصة أيضا كي تعيد
حساباتك في الذي سلف.. قد تجد
فيها -وأنت تقاربها في استرخائك
هنا- شيئا يستحق أن تعيد النظر
فيه، أو تتسفه من الجذور ربما..
لست أدري فهذا عائد إليك وحدك..
لكن انفلاتك - ولو إلى حين - من
دوار الحركة الصاخبة سيجعلك تعيد
تقويم المرحلة الفائتة بتركيز مفيد..
إنها مناسبة فلم تأبأها وتتململ!؟.. ثم
اسمع!.. استدرت وأنا ألتفت بكليتي
إليه بعدما تذكرت شيئا مهم: (ألست
تملك أذنين ما تزال تسمع بهما!؟)..
لم أرد على دهشته بل تابعت: (وأداة
التسجيل هاهنا بجانبك!؟.. لم لا

تجعلها مناسبة لتحفظ كلام الله!؟..
ليس الأمر صعبا، فوق أنه مهم.. مهم
جدا صدقني، فقط حاول.. حاول
واستفد من الفرصة السانحة لك
وأنت على هذه الحال.. فإنك تحب
- ولا ريب - أن تلقى المولى يوما وأنت
تحفظ شيئا من كتاب الله العزيز!؟)..
اتسعت عيناه كأنما يفكر من
خلالهما ولم يجب بشيء.. وما
انتظرت حتى يفعل، بل شعرت - لما
وقعت عيني على الساعة الحائطية
الثرينة - بأن علي أن أنصرف..
فاستأذنته داعيا الله له.. وخجلا
في أن معا أنني أثقلت عليه.. لكنني
ماوصلت الباب حتى جاءني منه سؤال
هو إلى الرجاء أقرب: (هل ستأتي
في الغد!؟).. ثم تابع في مشقة: (من
أجل أن.. نحفظ القرآن!).. هززت
رأسي في حبور، وقلت وأنا ألتفت
إليه مبتسما: (وما بعد الغد إن شاء
الله!)..

ثم مضيت بعدما رأيته ابتسم،
متعمدا أن أصل بيتي ماشيا، غير
عابئ بعشرات الوسائل التي أطلقت
أبواقها لتغريني كي أستقلها بديلا عن
تلك التي وهب لي مولاي الرحيم! ■